الأديب العربي ومكافحة الصهيونية في الوطن العربي

بقلم الدكتور حاتم الباعي

في هذه الظروف العصيبة نلتقي ونحن احوج ما نكون الى اللقاء، لان الجماهير العربية ، وهم ينبوع كل عمل مخلص ، في حاجة الى ان تتدفع آراء ذوي الرأي من ابنائهم بآرائهم ، وان تمتزج مشاعر المفكرين والشعراء والادباء وحاملي لواء الكلمة فيما بينهم بمشاعرهم.

وما احسب نكبة بلغت من الحدة وكفر الجور وسوء النتائج ما بلغته نكبتنا في مراحلها المختلفة ، وبخاصة في مرحلتها الاخيرة،مرحلة ١٩٦٧ . ولهذا كانت مسئولية ذوي الرأي من ابناء امتنا مسئولية كبيرة ، باهظة .

واني اقدر ، بل المس ، اننا لم نجيء ، وظروفنا بمثل هذه الدقة التي نواجه ، لكي نتسابق على التزايد في الكلام ، بل جئنا فيما اقدر والمس كي نتدارس ما نحن فيه ، وكي نبذل اقصى ما نملك للعمل على الوصول الى نواة جادة بل ممعنة في الجد من مشروع عمل يستقطب جميع الجهود الصادقة الخالصة في مواجهة عدونا ومكافحته، في داخل بلادنا ، وفي خارجها من بلدان الدنيا ، على ان يكون ذلك كله في مستوى ما يلاقينا ونلاقي من احداث ، وفي مستوى ما يلح التاريخ الخاص والعام علينا ان نفعل .

ولعل هذا اللقاء بيننا أن يسعف على تلمس منهج تحليلي متعمق مدرك لخطور موقفنا وموقف امتنا من هذا الخطر الماحق الذي يهددنا كاعنف ما يكون التهديد ، ولعل هذا اللقاء بيننا ان ييسر لنا بالمنهج التحليلي المتعمق المتوخي سبل الوصول الى النواة الجادة من العمل المنتظر من امتنا في ظروفنا السوداء هذه ، فقد سئمنا وسئمت امتنا طرائق التهويش والارتجال والسطحية .

واظن اننا لن نختلف على تصور ان العمل الجاد الذي تقتضيه ظروفنا سيكون في وعائين من الزمن ، وعاء عاجل لا تستطيع الايام ان تصبر علينا بسببه ، ووعاء آجل تتطلب الايام ان نعد له العدة المدروسة المركبة .

واحسب ان عدونا بابعاده المختلفة قد فطن لمثل هذا التصور في العمل ، وكان الوعاء الآجل الذي ينتظم احداث عملهم وفروعه يهيىء ليوم المعركة الفاصل بين مرحلة ومرحلة ، فلم تحدث المعركة الا على صورة حصاد او قطاف يقتطف ثمرات اشجار وزروع من العمل غرست وزرعت في الوعاء الآجل من الزمن ، في شتى مبادين الحياة الفكرية والثقافية والفنية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، والعسكرية.

وما اظننا قبل حزيران الماضي الاسود كنا نقدر ابعاد هذه الزروع المختلفة من زروع العدو حق قدرها ، وبخاصة في اقرب ميدان من مبادين الحياة الينا ، وهو ميدان الغزو الفكري والثقافي ، ولو اننا كنا على مستوى ما تمر به من ظروف لتنبهنا الى وسائل هذا الغزو الخبيثة ، ولما كانت كثرة من ثابهي جيلنا قابلة لعملية التطويع الفكري والثقافي لهذا الغزو الخبيث الماكر .

واني لارجو ان تكون دراستنا لوسائل مكافحة عدونا دراسة جادة ، بحيث تتمكن من بلورة الوسائل الفعالة القوية المرنة المتطورة في الوقت نفسه ، والآخذة باحدث ما عرفته الدنيا من اساليب،وبحيث تتمكن كذلك من بلورة النبع السليم الصافي الواسع الآفاق الذي يكمن في نفوس جماهير امتنا بما يمد هذه الوسائل الفعالة المتوخاة بوقودها .

ولست اظن اننا اقبلنا على ندوتنا هذه لنتدارس طرق اقناع من في الدنيا بحقنا ، او لنتدارس مدى ما يتمتع به حقنا من شرعية،ومدى ما يتسم به باطل عدونا من تنكر لكل شريعة مقبولة ، ولو ان هذا جانب فرعي من جوانب ندوتنا هذه ، ولكني على يقين من اننا اصبحنا ندرك ، وظروفنا بمثل ما هي عليه من دقة بالغة ، ان الحق وحده لا يكفيه شرعيته ، وانما هو دوما حي بمقدار استعداد اصحابه ان ينافحوا من دونه ، وان يقاتلوا ، ويضحوا باغلى ما يملكون في الذود عنه .

نعم انني على يقين من ان الاخوة المجتمعين في هذه الندوة قد لمسوا بسبب آخر مرحلة من مراحل نكبتنا ان الدنيا لا تستطيع ان تتحمس لتصور حق قوم ليسوا على استعداد للتضحية والقتال من دونه ، مهما يكن هذا الحق واضحا وساطعا . ومن هنا كان علينا ان نتلمس السبل العملية السليمة في الذود عن حقنا والقتال من دونه ليكون في التضحية الغالية في سبيله مناخ طيب مناسب لاستقطاب عطف الدنيا اولا على هذا الحق ، ثم تحريك الدنيا بسبب الاعجاب الشديد الذي يجب ان تنتزعه بتضحيتنا في سبيل حقنا نحو الوقوف الى جانب هذا الحق ، والاقتناع بدعوتنا من اجل احقاقه .

ولعل هذا ما يتطلب منا ان تكون مكافحتنا لعدونا مكافحة ذات شخصية مركبة ، وفي ميادين مختلفة لا بد من التنسيق بينها ، حتى تكون العناصر الفعالة في طليعة عمل جماهيرنا ، والعناصر المساعدة تحف بهذا العمل .

ولعلي لا اجيء بجديد اذا قلت ان الاديب العربي قد آن له ان يرى وهو يواجه هذه الظروف السوداء انه ليس في دور القيادة ، بل ينبغي له ان يفكر ان الثقافة المطلوبة للعمل الجاد المخلص ليست مقصورة على حملة الشهادات ، والاقلام ، وانما هي كامنة في اتجاهات كل من يحمل سلاحه في سبيل الذود عن وجود هذه الامة ، سواء أكان هذا السلاح عسكريا ام فكريا ، ام فنيا ، ام اقتصاديا ، ام سياسيا . فتصور الالتحام المتناسق بين جميع حملة السلاح على انواعه هو الذي يخيل الى انه اليوم يطرح نفسه .

والاديب الملتحم بالجماهير العربية وهمومها وكل ما يهدر في شعاب نفسها هو الذي يتنادى اليوم او ينبغي أن يتنادى مع سائر حملة انواع السلاح المختلفة الاخرى في مكافحتنا الصهيونية ومكافحة اعدائنا .

وما احسب الاديب العربي الآن الا مدركا ان الادب الذي يعانق حقائق ما نعيشه وتمر به مهما يكن قاسيا ومرا لهو الادب الذي تتطلبه ظروفنا الصعبة التي نواجهها . ومن هنا كان على ادباء هذه الامة ان يكونوا في مستوى التنظيم العملي الحي الديناميكي الحر الذي يصل بين ما يتحرك بل يهدر في نفوسهم وبين ما يهدر في نفوس الجماهير العربية ، عدة كل فترة من فترات الكفاح والقتال والنضال ، وان التنظيم العملي الديناميكي الحار الذي يجب أن يضطلع به الادباء في هذه الامة وحاملو كل سلاح من جماهيرها في شتى ميادين الحياة لهو الذي يلعب دوره الفعال او ينبغي أن يلعب دوره الفعال في التنسيق بين ما يفعله الادباء ومختلف مؤسسات هذه الامة .

وفي يقيني ان هذا التنظيم الديناميكي الحار المنسق هو الذي يخلق المناخ الملائم لكل الوان المكافحة مع عدونا ، وهو الذي يهيىء سعة الحيلة لدى جماهيرنا بحيث تتصرف حسب ما يقتضيه كل موقف في اي ظرف مهما يكن معقدا وشاقا .

***

اما بعد هذا المدخل ، فاني احب أن اقف عند موضوع مكافحة الصهيونية عامة أو عند دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية

خاصة .

ومكافحة الصهيونية واسعة الرقعة بحيث تتشعب الى دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية في داخل البلاد العربية ، والى دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية خارج البلاد العربية .

وسأحاول التركيز في الدرجة الاولى على دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية داخل البلاد العربية ، واكتفي بالمامة يسيرة في التعرض لدور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية خارج البلاد العربية ، لان زميلي في الوفد الاردني الدكتور محمود ابراهيم سيتناول في الدرجة الاولى دور الاديب العربي في مكافحة الصهيونية خارج البلاد العربية . وذلك ليكون في حديثي ما يتناسق مع حديثه ويكمله .

واود ان ابادر الى تلمس صورة الصهيونية بابعادها الفسيحة المركبة المعقدة على ضوء سلوكها وسيرتها في غزونا فاشير اول ما اشير الى اندغام الصهيونية البارز الذي لا تنكره عين بالاستعمار الغربي الحديث اندغاما تاما في جميع مراحل هذا الاستعمار ، واندغام الاستعمار الغربي الحديث بالصهيونية كذلك في جميع مراحلها .

والامر الثاني الذي اود ان اشير اليه في ابعاد صورة الصهيونية ان الصهيونية حركة استعمارية تعتمد اول ما تعتمد على الغزو المسلح المستوطن الذي يطرد اصحاب الارض والوطن ليحل محلهم ، وذلك على طريقة غزو الهنود الحمر واخذ ارضهم وسلبها والقضاء عليهم .

وقد حاولت الصهيونية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ان تفيد من ظهور الشعور القومي في بلدان اوروبا اثر التطور الاجتماعي الذي اعقب الانتهاء من طور الاقطاع وبدء عهد القوميات البورجوازية والانقلاب الصناعي .

وقد حاولت الصهيونية ان تفيد من المشاعر القومية في دعوة اليهود الذين كانوا يمرون بمرحلة التطور الاجتماعي الاوروبية السابقة الذكر ، وفي كسب عطف مشاعر الاوروبيين في دعوتهم الى مؤازرة اليهود حين يدعون الى شعار هو من شعارات ذلك العصر ، وذلك بقطع النظر عما يتعارض مع ذلك الشعار من تصادم مع مشاعر قومية اخرى كانت عند بعض العرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وقد دفع الصهيونية ذلك الى محاولة الافادة من اضطهاد اليهود المزمن ورواسبه من اقدم العهود في نفوس اليهود ، وفي نفوس الاوروبيين كذلك ، ودفعهم هذا ايضا الى محاولة ربط ما في نفوسهم بارض كانوا يتوهمون ان لهم صلة بها ولو كان ذلك يعود بهم الى تخطي احداث التاريخ ورقعة التخطيط الجغرافي السياسي في الارض عبر ما يزيد على الفين من السنوات ، وذلك كي تتداخل خططهم وتكسب اصداء فعالة في نفوس اليهود والاوروبيين على السواء .

ومن ثم حاولوا ان يبلوروا حركتهم في مؤتمرهم المشهور سنة ١٨٩٧ ، وان يتجهوا الى فكرة غزو الارض والوطن تارة بالمحاولة مع السلطان عبد الحميد لشراء ارض يبدأون منها تنمية نواة الارض التي يغزونها ، وتارة باخذ وعود من الدول الاوروبية بمساعدتهم ، مما ادى الى حصولهم على وعد بلفور المشئوم سنة ١٩١٧ .

واذن فقد اعتمدت الصهيونية على شعار من شعارات العصر في اخريات القرن التاسع عشر واذكته في نفوس اليهود ، ومن حولهم من الاوروبيين واندغمت اندغاما تاما مع حركة الاستعمار الغربي في تلك الحقبة وتوجت ذلك بالحصول على وعد بلفور في سنة ١٩١٧ ، واتجهت اتجاها جارفا لغزو الارض والسكان تستهدف بذلك اغتصاب وطن من ايدي اصحابه وطردهم وقتلهم وتشتيتهم .

وقد ساعد وقوع فلسطين وبعض البلاد العربية الاخرى في ايدي المستعمرين الغربيين على تنمية حركة الصهيونية وتهيئة الجو والمناخ المناسبين لانتزاع وطن من بين ايدي اصحابه وذويه ، فنسق الاستعمار والصهيونية خططهما : الاستعمار البريطاني يفرض صك الانتداب العجيب الغريب على مرأى من الدنيا ومسمع ، وتنفيذه تنفيذا غريبا بتهيئة جميع الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها لانتزاع الوطن الفلسطيني من اصحابه وذويه واعطائه لليهود والصهيونية ، وكان ذلك يستقطب جهود بريطانيا اولا وجهود الدول الاستعمارية الغربية ثانيا ، ويتعاون تعاونا لا حد له مع الصهيونية الممثلة في مؤسساتها وعلى رأسها الوكالة اليهودية ، واغراق البلاد الفلسطينية بسيل لا ينقطع من الغزاة اليهود في شكل مهاجرين . ولم يراع الاستعمار البريطاني ولا الدول الاستعمارية الاخرى في عصبة الامم ولا الصهيونية حقوق العرب اصحاب البلاد ، مما ادى بالعرب الى مقاومة هذا الغزو بثورات متصلة في فلسطين اثناء فترة الاستعمار البريطاني او الانتداب البريطاني في فلسطين كما احبوا ان يسموه ليوحي باشتراك الاستعماريين الآخرين وموافقتهم في عصبة الامم ، وهو الاستعمار الغربي المندمج بالغزو الصهيوني في الوقت نفسه .

واحب ان اقف قليلا عند صورة الصهيونية المندغمة بالاستعمار الغربي هذه فاكرر على صورة الغزو التام بجميع وسائله الداخلية والخارجية ، وما اريد بهذا ان اقف عند احابيل الصهيونية والاستعمار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، والتدريب العسكري ايضا في عملية الغزو هذه ، وانما اريد ان اخلص الى الخطوط العريضة في الصورة وهي الخطوط التي استهدفت الانسان العربي منذ بداية الغزو الصهيوني ، ولا تزال تستهدفه ، وستستمر في استهدافه .

وحين اشير الى خطوط الصورة في استهداف الغزو الصهيوني والاستعمار المندغم به : الانسان العربي .. اريد ان اقف بذلك عند ظاهرة هامة في شخصية الغزو الصهيوني الاستعماري .

فالغزو الصهيوني الاستعماري كان كما اشرت يستهدف الانسان العربي ايا كانت مستوياته الاجتماعية . فحين كان الانسان العربي في فلسطين وخارجها في العالم العربي في طور اجتماعي لا يزال قريب الصلة بالاقطاعية وما يمت اليها من فروع الحياة لم يتوان الغزو الصهيوني الاستعماري في غزو مثل هذا الانسان واغتصاب الارض منه، سواء أكانت الارض لاقطاعيين من خارج فلسطين من بعض البلاد العربية أم كانت لاقطاعيين فلسطينيين ام كانت لغير الاقطاعيين،وكان الغزو الصهيوني الاستعماري يفيد كثيرا في التفرقة بين الناس اي بين الانسان العربي والانسان العربي الآخر في فلسطين ، وفي غير فلسطين احيانا بمستوى ذلك التطور الاجتماعي القديم .

وحين تطور المجتمع الفلسطيني والمجتمعات العربية الاخرى لم يتوان الاستعمار والصهيونية في غزوهما الانسان العربي واراضيه ان يفيدا من مستوى ذلك التطور فيحاولا أن يفرقا بين العربي والعربي بسبب الحزبيات الدائبة آنذاك وبسبب المصالح التي قد تبدو للوهلة الاولى وللنظرة السطحية انها متباعدة او متضادة .

ولكن ذلك لم يفت في عضد المقاومة العربية في فلسطين ولا في انتفاضاتها الثورية المسلحة ، وان كانت تلك المقاومة وتلك الانتفاضات اقرب الى المقاومة العفوية التلقائية . وقد كان نجاح هذه الانتفاضات في كثير من الاحيان يعود الى عفويتها وتلقائيتها واتصالها بسبب ذلك بالقاعدة الشعبية في القرى والمدن . ولكن هذه المقاومة وتلك الانتفاضات على شعبيتها ونجاحها نجاحا لافتا ما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ لم تكن تتمتع بتخطيط قيادي مركب عميق يفطن للاحابيل الاستعمارية الصهيونية المركبة المعقدة ، ومن هنا رضيت ثورة فلسطين العربية ان توقف مقاومتها المسلحة في ١٩٣٩ حين توسل الاستعمار البريطاني بسبب ما ادعاه من احوال الحرب العالمية الثانية ببعض زعماء العرب ليتعهدوا للثورة الفلسطينية في ١٩٣٩ بنتائج طيبة لثورتهم بعد الحرب اذا هم اوقفوها اثناء الحرب .

وحين انتهت الحرب عادت الصهيونية والاستعمار المندغم بها الى توسيع الغزو فقسمت فلسطين على مرأى من دول العالم ومسمعها في الامم المتحدة ، وحدث ما حدث من كارثة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ، وشتتت الشعب الفلسطيني في ظروف رهيبة عصيبة ، واتضح ما اريد التركيز عليه من استهداف الصهيونية والاستعمار المندغم بها الانسان العربي

ايا كانت اوضاعه الاجتماعية او الاقتصادية أو الثقافية او السياسية، فلقد طرد الانسان العربي من فلسطين وشتت ودمر على اختلاف اوضاع هذا الانسان ، فلم يراع الغزو الصهيوني الاستعماري طبقة هذا الانسان، ولا دينه ، ولا مستواه الاجتماعي ، ولا مستواه الثقافي ، بل قد طرد الانسان العربي الغني ، والفقير ، وطرد المسلم والمسيحي ، وطرد المدني والفلاح والبدوي ، وطرد المتعلم والمثقف والامي ، لان الغزو الصهيوني الاستعماري كما اشرت انما كان ولا يزال وسيستمر في استهدافه الانسان العربي . ولم تتضح لبعض فئات هذا الانسان العربي مثل هذه النتيجة القاسية الا بعد كارثة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، وندم الكثيرون لتهاونهم في التضحية مع سائر فئات ذلك الانسان العربي في فلسطين ممن حملوا افدح اعباء الغزو الصهيوني الاستعماري، وودوا لو انهم كانوا يدركون تلك المرامي البشعة المدمرة للغزو الصهيوني اذن لكانوا قد جادوا بكل ما يملكون ، ولالتحموا بسائر الفئات الاخرى التي كانت قد تحملت افدح اعباء الغزو بالرغم من قلة العتاد والمال والتنظيم .

ولكن هل حقا انعظ الانسان العربي في فلسطين وفي البلاد العربية بهذه التجربة المرة القاسية التي استهدفته في المراحل التي سبقت ١٩٤٨ ، واستمرت تستهدفه بعد ذلك وستستمر الى ان يشاء الله ان يوقف هذا الغزو بقوة قادرة على ايقافه ؟ احسب ان تجربة ١٩٦٧ السوداء تبين ان الانسان العربي لم يتعظ ، وآية ذلك انه قد خيل اليه ان الطبقة او الدين ، او المصالح الاقتصادية او ما الى ذلك من الوان تصنيف هذا الانسان هي في الدرجة الاولى العامل المهم في صراعه التاريخي مع الصهيونية والاستعمار ، وآية ذلك انه ، اي الانسان العربي ، قد وقعت بين فئاته المختلفة هوة عميقة سحيقة من عدم الثقة بحيث صارت فئة من الفئات ترى ان الفئات الاخرى اشد خطرا عليها فيما صورته لها احابيل الصهيونية والاستعمار من الصهيونية والاستعمار نفسيهما .

ومن ثم راينا تدهور قيمة الثقة بين الانسان العربي والانسان العربي الآخر ، ونشطت وسائل الصهيونية والاستعمار المختلفة في محال السياسة والاقتصاد والمستويات الاجتماعية ، وفي الفكر والثقافة، وفي جميع الميادين نشطت في التفرقة بين الانسان العربي ، والانسان العربي الآخر . ولو حاول العرب - ساسة وعسكريين ومفكرين واقتصاديين وطبقيين ومتدينين - ان يقوموا الخسارة التي منيت بها جميع فئات الانسان العربي في حرب ١٩٦٧ السوداء لما استمروا على بعض من اوهام عدم الثقة بين الانسان العربي والانسان العربي الآخر.

ان غزو الانسان العربي هو الظاهرة الساطعة في صورة الغزو الصهيوني الاستعماري ، واني اشير في غير لبس ولا ابهام الى ان جميع فئات الانسان العربي قد قصرت في مواجهة هذه الظاهرة المفترسة الخطرة المهددة للكيان العربي كله .

وقد اخطات فئات العرب المختلفة في النظرة الى مدى خطورة هذه الظاهرة ، ومن ثم اباحت لنفسها ان تتناحر كاعنف ما يكون التناحر فيما بينها ، وتعقدت بعضها البعض الآخر تعد انفاس ذلك البعض واغفلت الخطر الاكبر الذي يهددها جميعا ، والذي اطاح بكل جهودها جميعا في حرب ١٩٦٧ السوداء . وقد كان للتناحر بين فئات الانسان العربي التي تشير اليها ما بين ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ ما ادى الى ان وجد الانسان العربي نفسه (سواء من كانت بيده وسائل ادارة الحكومات ام من كان مجردا من وسائل الادارة) في خوف دائم قلق مستمر ، لا من الخطر الصهيوني الاستعماري ، وانما من العلاقة بين فئات هذا الانسان العربي أو بين اي فئة والفئات الاخرى ، مما ادى الى تدمير حرية الانسان العربي مع انه عدة الكفاح ، وبهذا استقام طريق الغزو السلم امام العدو الاكبر الصهيونية والاستعمار بعد ان استقامت الطرق الاخرى للغزو في جميع مجالات الحياة ، ووجد الانسان العربي نفسه منقسما على نفسه في صراع مرير وقد امتلات تلك النفس بشتى الوان التصدع والانقسام وعدم الشعور بمكاسب النفس السوية المطمئنة في حياة كان يجب ان تكون كلها مكاسب من اجل الحرص على الدفاع عن هذه المكاسب واولها طبعا حرية الانسان العربي المكافح لكل اعداء العرب .

ان الانسان العربي الفلسطيني الذي شردته كارثة ١٩٤٨ لم يلق التخطيط العربي الحق لتحويل طاقاته وطاقات سائر اخوته في البلاد العربية الاخرى نحو مواجهة هذا الغزو الصهيوني الاستعماري في مجالات الحياة ، بل على العكس من ذلك لقي الانسان العربي الفلسطيني بعد تشريده من فلسطين سنة ١٩٤٨ كل ما يساعد على تدمير روح الثورة او النقمة على اعدائه الذين شردوه ، ولم توضع الخطط للافادة مما حل بنفسه بسبب تشريده ، بل زيد تشريدا على تشريد حين سمح لوكالة الغوث الدولية ان تمتهن كرامة الانسان الفلسطيني المشرد بتحويله من انسان قابل لان يكون عدة الكفاح الاولى في طليعة المكافحين لاعداء العرب من الصهيونية والاستعمار الى انسان يمد يده ليتناول ، على سبيل الشفقة ، اقل القليل في سبيل سد رمقه . ولقد قصر سائر الاشقاء العرب في القضاء على هذه الصورة التي فتكت بانسانية الانسان الفلسطيني المشرد بعد كارثة سنة ١٩٤٨ ، وارجو الا يستمر مثل هذا الخطأ الفادح القاتل الى ما بعد كارثة سنة ١٩٦٧ السوداء .

ولو ان العرب استطاعوا ان ينظموا ذلك تنظيما يتناسب مع مستوى الاحداث التي يواجهونها لما صرفوا في ذلك عشر معشار ما خسروه في حرب ١٩٦٧ السوداء .

اما بعد تجربة ١٩٦٧ ، فهل نستطيع ان نقول ان الانسان العربي قد اتعظ وادرك انه الغزو قبل غيره في هذه الحرب المتصلة بيننا وبين الد اعدائنا ؟ احسب ان الانسان العربي لا تزال بقية من ضبابيات تغبش صورة المعركة بينه وبين الد اعدائه ، والا لراينا التنظيم اقوى واجدى وانفع في هذه الاشهر التي تعد احرج ايام الامة العربية والتي اعقبت كارثة يونيو الماضي ١٩٦٧ حتى يومنا هذا .

واذن فنحن مطالبون بان نتعظ من تجربة ١٩٦٧ المرة ، وان نهيىء بكل ما نملك من صبر وتضحية وقدرة في الاقناع ومواجهة لحرب نفسية شديدة موجهة الينا ، ان نهيىء لاعادة بناء جبهة وطنية من الانسان العربي بجميع فئاته بحيث يلتحم في هذه الجبهة ممثلو الجماهير العربية الواسعة بالقيادة التي تبيح لنفسها ان تناقش نفسها في كل مرحلة من مراحل الكفاح والتي تبيح في الوقت نفسه للجماهير العربية الواسعة عن طريق ممثليها ان تناقش مدى الالتحام بين القيادة والقاعدة .

ولقد آن الاوان ان تلتقي جميع فئات الانسان العربي على نواة جادة من العمل المنظم في كفاحها مع الصهيونية والاستعمار ، لان هذه النواة الجادة هي التي ستستقطب جميع الجهود في هذا الكفاح بحيث يصبح على مستوى الاحداث في جميع المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية ، والفكرية والثقافية ، وسائر مجالات الحياة .

ان الانسان العربي الذي تقع على عاتقه مسئولية مكافحة الصهيونية والاستعمار ينبغي ان يتحرر من انعدام الثقة الذي يغل قواه ويشتت جهوده في معارك جانبية بينه وبين اخيه الانسان العربي الآخر ، فحرية الانسان العربي تكاد تكون اهم الاسلحة في الاعداد لمكافحة الصهيونية والاستعمار اللذين لا يجوز للانسان العربي مهادنتهما. فكل ما يؤدي الى مهادنة الصهيونية والاستعمار من اساليب انما ينقلب على هذه الامة العربية ويدمرها . وقد رأى الانسان العربي تسالب الاستعمار بضراوة لا تعرفها مراحل التاريخ السابقة في سبيل تدميرنا على ايدي الصهيونية في كارثة ١٩٦٧ السوداء .

وقد يحاول البعض ان ينظر لهذا الامر من زاوية متشائمة، ولكن نظرة الى ما جرى من بطولات خارقة لافتة في كفاح اخواننا الجزائريين لغزو استعماري استيطاني مدمر تالبت على الشعب الجزائري البطل فيه قوى هائلة ذات طول وحول وافتراس وتعصب . ونظرة اخرى لما جرى في كوبا ، وما جرى في كوريا بعد استقلال كوريا الشمالية ،

بخمس سنوات فقط ، ووقوف كوريا كالمارد الجبار امام حرب مدمرة ، وما يجري في فيتنام : أن نظرة الى ما جرى ويجري في العالم يتبين لنا أن مناضلة أعتى القوى واشدها فتكا امر غير مستحيل ، بل هو امر ممكن وقابل للنجاح التام حين يتم التنسيق بين القاعدة والقيادة، وحين يتاح للثقة بين الانسان العربي والانسان العربي الآخر ان تؤتي ثمارها في العمل الجاد المنظم .

وما احسب أحدا بيننا يبيح لنفسه ان يصدق ان الجماهير العربية تستسيغ ان تقع في وهدة العبودية امام الغزو الصهيوني الاستعماري الاستيطاني الذي يريد لها ان تظل متخلفة ، منقرضة او كالمنقرضة ، وابواب الحرية في هذه الدنيا مفتحة لمن يريد ان يدخلها ولو بعد مشقة ومواجهة لاشد انواع الاشواك .

ان براعة المفكرين والادباء والمثقفين في بلادنا العربية تخوض اليوم امتحانا ومعركة في سبيل بلورة القدر المشترك من النضال الحي بين الانسان العربي والانسان العربي الآخر في مواجهتهما وكفاحهما الصهيونية والاستعمار ، وان الاستخذاء والاستسلام والعبودية لا يمكن ان تجد لها آذانا صاغية اذا ما تبلور امام الانسان العربي بمختلف فئاته القدر المشترك الجاد الذي تلتقي عليه فئات هذا الانسان العربي في مكافحة الصهيونية والاستعمار .

ان سعة رقعة الصهيونية والاستعمار وادواتهما الفتاكة في غزونا لا يجوز لها ان تفت في عضدنا بمقدار ما ينبغي لها ان تشحذ هممنا في توسيع ميادين نضالنا . وفي العالم اليوم قوى تستطيع ان ترى ان مصلحتها ، بل مصالحها الكبرى ، مهددة اذا هي لم تخف للتعاون معنا في مكافحتنا الصهيونية والاستعمار وغزوهما الاستيطاني لنا . ان الصهيونية والاستعمار بجبروتهما في وسائل الدعاية والاعلام لم تستطيعا أن تخترقا حتى الان اقصى اليسار الماركسي واقصى اليمين الكاثوليكي في العالم وان كانت وسائلهما الفتاكة قد غزت مواطن كثيرة من رقاع العالم بما فيها رقعة عالم الدول النامية او العالم الثالث كما يقولون ، ولكن تنظيما جادا منا سيفضح اساليب الاستعمار والصهيونية في غزوها لنا . ولعل ما ادركته بعض الفئات اليسارية المنطرفة من تقصير سابق لها في فهم حركة الصهيونية الاستعمارية الغازية على حقيقتها قبل حرب ١٩٦٧ السوداء ، وكذلك ما ادركته بعض الفئات اليمينية أيضا ، لعل ذلك أن يبين ان المستوى الطبقي في فهم الحركة الصهيونية الاستعمارية ليس الا جزءا من الفهم العام الذي أشرنا اليه من حركة الصهيونية الغازية الاستيطانية الاستعمارية ، وان تقصير المقصرين ينبغي أن يتبعه بعد اليوم فهم واسع لاخطر عملية غزو مفترسة شرسة في التاريخ الحديث تهدد الانسان العربي بجملته وكل انسان حريص على سير الحضارة البشرية في طريقها الصحيح ، وحريص ألا تسود شريعة القوة والغاب .

ولقد كشفت الصهيونية والاستعمار بأبعادهما البشعة عن وجهيهما القناع واندفعت أطماعهما وطوعت جميع فئات اليهود في داخل فلسطين المحتلة وفي أغلب رقاع الدنيا ما عدا القلة النادرة التي لا يقاس عليها ، طوعت جميع هذه الفئات ـ يسارية كانت أم يمينية ـ في مجهود غزوها لنا ، ولقد آن لنا أن نتعظ فنجعل قضية هذا الغزو الماحق قضية الانسان العربي بجميع فئاته .

***

وبعد فاني أود أن أشير الى اقتراحات في خاتمة هذا الحديث :

أولا ـ الدعوة الى مؤتمر وطني يمثل جميع الفئات في الجماهير العربية من جميع بلدان هذه الامة العربية ، ليتدارس هذا المؤتمر فكرة ايجاد نواة جادة صالحة في مواجهة الغزو الصهيوني الاستعماري على اختلاف ميادين هذه المواجهة سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وثقافية وفنية ، وكل ما يجمع الطاقات .

وثانيها ـ الدعوة الى مؤتمرات وطنية اخرى تبحث في الوسائل الآجلة بعد استكمال الوسائل العاجلة في مواجهة الصهيونية كأن تبحث في انشاء معهد عربي للدراسات الفلسطينية يدرس لطلبة أتموا مرحلتهم الجامعية الاولى ـ أي الليسانس والبكالوريوس ـ مقررات تضم كل ما يتصل بالشخصية الفلسطينية والغزو الصهيوني والاستعماري .

وثالثها ـ انشاء دار نشر عربية يكون من مهامها :

أ) نشر الكتاب العربي في مواجهة الصهيونية والاستعمار .

ب) نشر أبحاث علمية مستقصية تقوم بها لجنة من الباحثين العرب وغير العرب ممن يؤازرونهم حول فلسطين والغزو الصهيوني الاستعماري لها .

ج) نشر مجلة شهرية تتصدى لمعالجة كل ما يتصل بشخصية فلسطين والغزو الصهيوني الاستعماري لها ، وتآلب الصهيونية والاستعمار على فلسطين والعرب والانسان العربي الحديث .

د) نشر جريدة يومية تتصدى لمعالجة كل ما يتصل بأخبار فلسطين والغزو الصهيوني الاستعماري لها .

هـ) تكوين دار اذاعة عربية ذات مستوى رفيع تعالج كل ما يتصل بفلسطين والغزو الصهيوني الاستعماري .

ورابعها ـ الدعوة الى مؤتمر وطني عربي للبحث في أنجع الوسائل لتقوية الكيان الفلسطيني وجعله في مستوى ما نلاقيه من غزو صهيوني استعماري .

وخامسها ـ محاولة نقل التراث الثوري العالمي في هذه الفترة الدقيقة التي نجتازها ووضعها واضحة ميسرة في أيدي جماهيرنا العربية لتستضيء بضيائها وتفيد من تجارب الاخرين الغنية ، وليشد ذلك كله من صمود الانسان العربي ، في داخل فلسطين المحتلة ، وصمود سائر العرب في دنيا العرب الواسعة ، رغم كل ما يلاقونه من ضغوط في كفاحهم الصهيونية والاستعمار ، ورغم ما يوجه اليهم من حرب نفسية شرسة الى جانب الحرب الساخنة الفعلية التي يلقاها الانسان العربي في داخل فلسطين المحتلة ، والتي تنتظر سائر فئات الانسان العربي المكافحة في خارج فلسطين .

ولعل ذلك أن يدحض الدعاية الضخمة التي توهم الناس بأسطورة قوة اسرائيل لتخفي حقيقة التشبح الاستعماري وراءها ، ولتخذل روح الصمود العربية الجبارة .

عمان — هاشم ياغي

صدر حديثا

رؤيا في الطريق

شعر

تأليف

الياس طعمة